خطبة عيد الأضحى

ألقيت في ميدان عابدين بالقاهرة سنة ١٩٧٧م

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

هذا يوم العيد، هذا يوم التكبير[١]، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلاّ الله، والله أكبر ولله الحمد.

نحن المسلمين بالتكبير نزيّن الأعياد، بالتكبير نصنع الأمجاد، بالتكبير نبدأ الصلاة، بالتكبير نبدأ الأذان، بالتكبير نبدأ الإقامة، بالتكبير نبدأ المعارك، بالتكبير نبدأ الحياة! إذا ولد المولود منّا أذّنّا في أُذنه: الله أكبر، وإذا قمنا للصلاة قلنا: الله أكبر، وإذا ذبحنا أو نحرنا قلنا: بسم الله والله أكبر. نحن المهلّلون المكبرون، نحن المسلمين تعلّمنا أن يكون شعارنا: الله أكبر.

(الله أكبر) بها نرعب الأعداء في الحروب (الله أكبر) بها نقتحم الأحداث والخطوب. في يوم بدر انتصرنا؛ لأنّ شعارنا كان: الله أكبر. في يوم عين جالوت كان شعارنا: الله أكبر. في يوم العاشر من رمضان تحقق لنا النصر؛ لأننا جعلنا شعارنا: الله أكبر[٢].

---

(١) ذهب الجمهور إلى أنّ التكبير في عيد الأضحى سنة مؤكدة، وابتداؤه من فجر يوم عرفة (التاسع من ذي الحجة) وانتهاؤه مع عصر آخر أيام التشريق.

(٢) انظر هزيمة يونيو ١٩٦٧. وانظر للعاشر من رمضان سنة ١٣٩٣هـ. في (٦٧) كانوا يقولون: ومدفعنا يتحدى القدر. وهذا المدفع لم يفعلوا به شيئاً، بل تركوه غنيمة لليهود، وأما في العاشر من رمضان فحينما نادى المنادي: الله أكبر، هبّت على الجنود والناس نفحات رمضان، وكان العبور واقتحام خط بارليف، حيث حطمت أسطورة=

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر ولله الحمد.

أيها الإخوة المسلمون:

(الله أكبر) ليست كلمة تقال، وليست مجردَ شعار يرفع، إنّما (الله أكبر) معناها يا أخي المسلم: أن تكون الدنيا كلها في عينك صغيرة في جنب الله عزّ وجلّ. إذا عرض عليك المال، أو عرض عليك الجاه، أو عرضت عليك الدنيا مجتمعة، لتتنازل عن دينك، استمسكت بدينك وقلت: الله أكبر الله أكبر من المال والثروة، الله أكبر من الجاه والمنصب، الله أكبر من المتع والشهوات، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

أيها الإخوة المسلمون: نحن في عيد الأضحى، ولنا نحن المسلمين عيدان. حينما «قدم رسول الله ﷺ المدينة، ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: ما هذا اليومان؟ قالوا: كنّا نلعب فيهما في الجاهلية. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الأضحى، ويوم الفطر»[1].

وقد شاء الله لنا نحن المسلمين أن تكون أعيادنا عقب فرائض وعبادات كبرى، فعيد الفطر بعد عبادة الصيام، بعد أن تجوع البطون، وتظمأ الشفاه لله، ويدع الإنسان طعامه من أجل الله، وشرابه من أجل الله، وشهوته من أجل الله وزوجته من أجل الله، يأتيه العيد (جائزة) من الله تعالى، بعد هذه المشقة في سبيل الله، و«للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربّه

القوة التي لا تقهر، وأخذنا من النصر على قدر ما كان عندنا من إيمان، ولو كان عندنا إيمان أكبر لكنّا توسعّنا وتوغلنا أكثر، إنّما على قدر إيماننا أخذنا: أعطني إيماناً أعطيك نصراً (من كلام الشيخ القرضاوي في كتابه قضايا إسلامية على بساط البحث ص: ١٢٢) وانظر: كتابه «درس النكبة الثانية: لماذا انهزمنا وكيف ننتصر؟».

(١) رواه أبو داود بهذا اللفظ عن أنس، ورواه أحمد والنسائي. وهذا إسناد على شرط مسلم (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية) ص١٨٤، ط. دار المعرفة بيروت.

فرح بصومه»[1].

ويأتي عيد الأضحى عقب الحج، فهو يوم الحج الأكبر، بعد أن يقف الحجاج في عرفات، متجردين لله تعالى من مظاهر الدنيا، لابسين ثياباً بيضاء، أشبه ما تكون بأكفان الموتى، قد تساوَوْا صغيرهم وكبيرهم، أميرهم وخفيرهم، غنيهم وفقيرهم، تجردوا وتساووا أمام الله، لبّوا نداء الله، نداؤهم واحد، دينهم واحد، ربهم واحد، نبيّهم واحد، كتابهم واحد، حداؤهم واحد: لبيّك اللهم لبيّك، لبيّك لا شريك لك لبيّك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

هناك يتجلّى الله تعالى على عباده، يباهي بأهل الأرض أهل السماء، فيقول للملائكة: «انظروا إلى عبادي، أتوني شعثاً، غبراً، ضاحين ـ أي متعرّضين لحرارة الشمس، من كل فجّ عميق أشهدكم أنّي قد غفرت لهم...»[2].

الحج يأتي بعده العيد الأكبر: عيد الأضحى، والصيام يأتي بعده عيد الفطر. أعيادنا بعد عبادات وبعد فرائض وشعائر تقام لله.

ولهذا فإن لأعيادنا نحن المسلمين خصائص:

أعيادنا أعياد ربانية: ليس يوم العيد عندنا يوم (كاس وطاس)، ولا يوم انفلات للشهوات، أو جري وراء الملذات، إنّ أعيادنا تبدأ بالتكبير، تبدأ بـ (الله أكبر)، تبدأ بالصلاة. أعيادنا أعياداً ربانّية، أعياداً موصولة الحبال بالله تبارك وتعالى.

---

(١) رواه البخاري واللفظ له، ومسلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. انظر (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/٣٠٧، الحديث ٥٠٥).

(٢) رواه أبو يعلي، والبزار، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي واللفظ له، من حديث جابر رضي الله عنه، ونصّه كاملاً: «إذا كان يوم عرفة، فإنّ الله تبارك وتعالى يباهي بهم الملائكة فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شُعْثاً غُبراً ضاحين من كل فج عميق، أشهدكم أني قد غفرت لهم، فتقول الملائكة: إن فيهم فلاناً مُرهقاً وفلاناً! قال: يقول الله عز وجل: قد غفرت لهم» والمرهق: هو الذي يغشي المحارم، ويرتكب المفاسد. (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/٣٥٢، والحديث ٦١٢).

وهي كذلك أعياد إنسانية: لأنّ المعاني الإنسانية تتجلّى فيها أعظم التجلّي. لا يريد الإسلام للمسلمين أن يفرح بالعيد وحده، فليس منّا من أكل وحده، وليس منّا من عاش لنفسه.

في عيد الفطر شرع الإسلام زكاة الفطر «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمه للمساكين»[1]، فرضها على كل صغير وكبير، ذكر أو أنثى، حرّ أو عبد من المسلمين[2]، وقال: «أغنوهم عن الطواف في هذا اليوم»[3]. بدل أن يطوف المسكين ويسأل الغني، فإنّ الغنى يبحث عنه، ويسأل ويطوف، ويذهب إلى داره ليعطيه زكاة الفطر، لتعمّ الفرحة، ويعمّ السرور الجميع.

وكذلك في عيد الأضحى، شرع الإسلام (الأضحية)[4] ليوسّع الإنسان

---

(١) رواه أبو داود وسكت عليه هو والمنذري، وابن ماجه، والحاكم قال: صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وتتمته: «فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهو صدقة من الصدقات» (المنتقي من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٣٣١، الحديث ٥٧١) وانظر أيضاً: (فقه الزكاة للقرضاوي، ٢/ ٩٢١ ـ ٩٢٢) ط. مؤسسة الرسالة ببيروت.

(٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير على الحر والعبد، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمرنا أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة» متفق على صحته (شرح السنة للبغوي بتحقيق الشاويش والأرناؤوط: ٦/ ٧١، برقم ١٥٩٤).

(٣) تقدم تخريجه في ص (٢٤٤).

(٤) الأصل في مشروعيتهما الكتاب والسنة والإجماع. أمّا الكتاب فقوله سبحانه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢] قال بعض أهل التفسير: المراد به: الأضحية بعد صلاة العيد. وأما السنة فلأحاديث منها حديث أنس المتفق عليه: «أن النبيّ ﷺ كان يضحي بكبشين أملحين أقرنين، يطأ على صفاحهما، ويذبحهما بيده، ويقول: بسم الله والله أكبر (شرح السنة للبغوي: ٤/ ٣٣٤، برقم ١١١٩) وأجمع المسلمون على شرعيتها. وذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والفقهاء إلى أنها سنة مؤكدة. وذهب أبو حنيفة إلى أنها واجبة على أهل اليسار. ووقتها من بعد صلاة العيد فلا تجزىء قبله، ويمتد إلى

على أهله، ويوسع الإنسان على أحبائه وجيرانه، ويوسّع على فقراء المسلمين. هكذا ينبغي أن توزّع الأضحية أثلاثاً: ثلث لنفسه وأهله، وثلث يهدي منه جيرانه وأصدقاءه، وثلث للفقراء. وإذا كان أكثر من الثلث للفقراء فقد أحسن.

وليس لفقراء المسلمين فقط، بل إنّ التسامح الإسلامي شمل المسلمين وغير المسلمين. روى أبو داود والترمذي أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص ذبحت له شاة في أهله، فلمّا جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[1] أي يورث الجار من الجار، كما يرث القريب من القريب.

أيّها الإخوة:

هذا هو الإسلام. ليس من الإسلام أن تأكل وحدك، أن تجمع على مائدتك من الأطعمة أطيبها، ومن الأشربة أعذبها، وأن تلبس من الثياب أحسنها، وبجوارك أخ لك أو قريب، أو جار، لا يجد ما يمسك الرمق، أو يطفىء الحرق، يئن من الجوع أنين الملسوع. ليس هذا من الإسلام، برىء من ذلك محمد ﷺ فقال: «ما آمن بي ـ وفي رواية: ليس المؤمن ـ من بات شبعاناً، وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم»[2] أي: ليس بمؤمن من عاش لنفسه ولم يعش

غروب الشمس من آخر أيام التشريق، وهو قول الحسن وعطاء، وبه قال الشافعي. وذهب جماعة إلى أن وقت الأضحية يوم النحر ويومان بعده، وبه قال مالك وأحمد، وإليه ذهب أصحاب الرأي. ونجزىء الشاة (من الضأن أو المعز) عن الواحد (أي عن الرجل وأهل بيته). أمّا الإبل والبقر فتكفي الواحدة عن سبعة.

(١) رواه الترمذي ـ واللفظ له ـ في كتاب البرّ والصلة من سننه برقم (١٩٤٤) ورواه أبو داود في كتاب الأدب رقم ٥١٥٢) كما رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (١٠٥). وانظر: فصل (تسامح فريد) من كتاب (غير المسلمين في المجتمع الإسلامي) للأستاذ القرضاوي.

(٢) رواه الطبراني، والبزار، وحسّنه المنذري، وكذا قال الهيثمي: إسناد البزار حسن. ونصر الرواية الثانية التي أشار إليها الشيخ: «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع» رواه

لإخوانه، ولم يعش لمجتمعه، هذا هو الإسلام قبل أن تعرف الدنيا المذاهب المستوردة من هنا وهناك.

أيّها الإخوة:

هذا التجمعّ المؤمن علام يدلّ؟ إنّي أنظر مدّ البصر، فلا أكاد أرى له آخراً. علام يدل هذا التجمع الذي دعا إليه فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى؟ إنّه يدلّ على وجه مصر الحقيقي. هذا هو وجه مصر، من أراد أن يعرف هذا البلد، فليعرفه هنا. ليس الذين يجلسون في البارات، أو في الكباريهات، أو يجلسون حول الموائد الخضراء، أو في الليالي الحمراء، ليسوا هؤلاء ممثلي مصر.

إنّ وجه مصر هو هنا وليس في شارع الهرم وملاهيه! مصر مسلمة، مصر مؤمنة، وهذا ما ينبغي أن يُعرّف لطوائف من الناس جهلوا هذه الحقيقة.

أول هذه الطوائف: طائفة الماركسيّين، طائفة الذين يريدونها إلحادية، يريدونها ماديّة جدليّة. الذين يقولون: لا إله والحياة مادة، الذين يزعمون أنّ (الدين أفيون الشعوب)[1].

هذا هو الدين محرك الجماهير، هذا هو الدين مصدر القوة، لم تستند هذه الأمة إلى الدين يوماً وأخفقت أو هُزمت.

يوم صاح الصائح في عين جالوت، صاح في جنود مصر: وإسلاماه، وإسلاماه، قالها قطز قائد معركة عين جالوت، ورمى خوذته، هناك حرّك الكامن، وهاج الساكن، وأقبل المتردّد وتشجع الجبان، وكان النصر على التتار.

الطبراني: «ليس المؤمن الذي يبيت شبعاناً، وجاره جائع إلى جنبه» (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٦٩١، الحديثان ١٥٣٠، ١٥٣١).

(١) للأستاذ العقاد رحمه الله كتاب بعنوان: (أفيون الشعوب)، فنّد فيه هذه المقولة الزائفة، وأكدّ أنّ هذا الوصف هو آخر ما يمكن أن ينطبق على الدين، وأوّل وصف ينطبق على مذهب (ماركس) بجميع معانيه.

يوم استندت هذه الأمة إلى معاني الإيمان في العاشر من رمضان وصاحت: الله أكبر، انتصرت.

في سنة (١٩٦٧م) يوم دخلوا المعركة بعيدين عن الله، ناسين، يقولون للجنود: معكم الممثّل الفلاني والممثّلة الفلانية، وتوزع عليهم صور المطربات والممثلين بدل أن يوزّع المصحف.. أن يوزّع القرآن، كانت النتيجة ما عرفناه من العار، والهزيمة، والنكسة، والوكسة.

الدين ليس أفيوناً، الدين ليس مخدراً، إن صحّ هذا في دين من الأديان فلن يصحّ في الإسلام.

الإسلام دين القوة، الإسلام هو مصدر العزة والقوة... مصدر التحريك لهذه الأمة.

لا يحرك هذه الأمة كالإسلام، لا يحركها وطنية، أو قومية، أو عروبة، أو فرعونية، إنّما يحركها: الله أكبر، إنما يحركها: لا إله إلا الله محمد رسول الله، إنما يحركها أن ينادي المنادي: يا خيل الله اركبي، ويا ريح الجنة هبي! هنالك نرى هذه الأمة حقيقة واقعية، لا دعوى تدعى.

إن الشيوعيين الذين يريدون هذا البلد شيوعيا واهمون مخطئون. لن تكفر مصر، لن ترتد عن إسلامها، لن ترجع عن دينها. هؤلاء غرباء عن هذا البلد، غرباء عن مصر. مصر مسلمة مؤمنة.

أمّا الذين يقولون: إن الله لم يخلق الإنسان، ولكن الإنسان هو الذي خلق الله، فهؤلاء الماديون... الملحدون.. الشيوعيون، لا مكان لهم في بلدنا، البلد المسلم.. الشعب المؤمن.

ثم هناك طائفة أخرى على النقيض من هؤلاء، ولكنهم جهلوا مصر أيضاً. إنّها طائفة غفلت عن حقيقة هذه الأمة. غرّهم ظاهر المنكرات التي يرونها في الشوارع، وفي الأجهزة التي تبثّ الفساد، غرّهم هذا فظنوا: أنّ هذا الشعب قد

كفر. كفروا الناس بالجملة، كفروا المجتمع بغير تمييز ولا تفصيل، هؤلاء أخطأوا.

هذه الأمة لم تكفر بربها، ولا بقرآنها، ولا بمحمدها عليه الصلاة والسلام. هذا الشعب مسلم، قد يتراكم عليه غبار المعصية، قد يعتريه الصدأ من كثرة التوجيهات المضللة الفاسدة المفسدة من هنا وهناك. ولكن إذا أزلت هذا الغبار، إذا حككت هذا الصدأ، تبيّن لك المعدن الحقيقي، تبيّن لك الجوهر الأصيل. معدن هذه الأمة هو الإسلام، الخامة الأصليّة لهذه الأمّة، هي الإسلام، أرضيّة هذه الأمة هي الإسلام، فليعلم ذلك الغلاة المتطرفون[1].

وفئة ثالثة أذكرها بهذا الجمع. إنها فئة العلمانيين، الذين يريدون أن يفصلوا بين العقيدة والشريعة، أو بين الدين والدولة، الذين يريدونها دولة لا دين لها، أو ديناً لا دولة له.، لا، أخطأتم أيها العلمانيون، هذه الأمة تريد أن تحكم وفق عقيدتها.

إنّ هذا الصراع وهذا التناقض الذي يحس به المسلم في حياته، يجب أن يزول. المسلم يحسّ في أعماقه أنه مؤمن بالله، مؤمن بالإسلام، مؤمن بالقرآن، رضي بالله رباً بالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، وبالقرآن منهاجاً وإماماً.

هذا المسلم يحس أنه يحكم ويقاد في كثير من الأوضاع والمفاهيم والقوانين والتقاليد بغير الإسلام، وبغير شريعة الإسلام. ولهذا يجب أن تتعالى الأصوات في كل مكان، تنادي بشريعة الإسلام، تنادي بحكم القرآن، يجب أن يكون ذلك في كل مكان.

وأحب أن أقول هنا شيئاً: ماذا نريد بشريعة الإسلام؟ إنّ بعض الناس

---

(١) للأستاذ القرضاوي رسالة مركزة نافعة بعنوان: (ظاهرة الغلو في التكفير). ضمنّها ثماني قواعد جامعة، وبين من خلالها مدى الخطأ الجسيم الذي سقط فيه هؤلاء الذين أسرفوا في التكفير.

يظن أن مجرد تعديل القوانين يقيم شريعة الإسلام، وأنّ مجرد تطبيق الحدود يقيم مجتمع الإسلام، وأمة الإسلام.

لا. الإسلام أيها المسلمون: فلسفة حياة، ونظام حياة. نظام يصحب الفرد من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة، بل ربما صحبة قبل الميلاد وبعد الوفاة.

فإن في الإسلام أحكاماً تتعلق بالجنين في بطن أمه، وأحكاماً تتعلّق بالميت بعد موته: أحكام الغسل والتكفين والصلاة والدفن وتقسيم التركة وغير ذلك.

الإسلام يصحب الإنسان في رحلة الحياة كلها، كما يصحبه في مجالات الحياة كلها: في المسجد، والبيت، والمزرعة، والمصنع، والمدرسة، والمحكمة، والطريق.. إنه يهيء للإنسان حياة إسلامية متكاملة، توجهها العقيدة، وتضبطها القيم، وتحكمها الشريعة في كل شيء. من قضاء الحاجة إلى نظام الخلافة، من أدب المائدة إلى بناء الدولة، يعلمك كيف تأكل وكيف تشرب «سمّ الله وكل بيمينك، وكل مما يليك»[1] «ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها»[2] ولا بملعقة من فضة أو ذهب، و.. و.. كما يعلمك كيف تحكم ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ..﴾ [المائدة: ٤٩] ﴿...وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

فإذا أردنا أن نحكم الإسلام، فلا بد أن يتغير المجتمع كلّه إلى الإسلام. تتغير الأفكار والمفاهيم، تتغير القيم والأخلاق، تتغير العادات والتقاليد، تتغير

---

(١) متفق عليه من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما (رياض الصالحين).

(٢) رواه البخاري، ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه. ونصه كاملاً: «لا تلبسوا الحرير، ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة» (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٥٩٨، الحديث ١٢٣٧). وانظر في حكم تحريم هذه الأشياء المذكورة وحكمته: كتاب (الحلال والحرام في الإسلام) للأستاذ القرضاوي. فصل: (في الملبس والزينة) و(في البيت).

العواطف والمشاعر، تتغير الأنظمة والشرائع والقوانين، وتتغير الثقافة والإعلام، تتغير التربية والتعليم. نريد تشريعاً إسلامياً.. تربية إسلامية.. إعلاماً إسلامياً.. ثقافة إسلامية.. توجيهاً إسلامياً في كل مكان، هذا ما نريده إذا أردنا أن نحكم الإسلام، ونقيم المجتمع المسلم حقاً[1].

يا أيها الإخوة المسلمون:

إنّ الإسلام دين عظيم. إنّ الله منّ علينا بهذا الدين، وهو أفضل دين. من الله علينا بأكرم نبيّ أُرسل، وأعظم كتاب أُنزل، منّ علينا بالقرآن، وبمحمد عليه الصلاة والسلام، وأنعم علينا بالإسلام ﴿... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا...﴾ [المائـــــدة: ٣] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣].

ولكن هل يعزّ الإسلام، ويسود الإسلام، ينتصر الإسلام وحده؟ هل ينتصر الإسلام، ويظهر على الدين كله بغير مسلمين؟ هل يعزّ الإسلام بغير رجال؟ لا، إن الإسلام يحتاج إلى رجال ينصرونه ويعزّونه، وينشرونه، ويكونون مثلاً له في الأرض، مثلاً عملية يراهم الناس فيرون فيهم الإسلام. إذا سار أحدهم قالوا: أنظروا، هذا هو الإسلام المجسّم، هذا قرآن يسعى على قدمين، كما كان النبي ﷺ، وكما كان الصحابة رضوان الله عليهم.

الإسلام عظيم، ولكنه يحتاج إلى مسلمين عظماء يكافئون عظمته. إنّ الله تعالى يقول لرسوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآنفال: ٦٢] وبالمؤمنين.. لا بدّ من المؤمنين.

إنّ رجلاً أجنبياً درس الإسلام، فأعجب به، وأعجب بتعاليمه، فقال:

---

(١) راجع في هذا: كتاب (ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده) للأستاذ القرضاوي، وفيه ذكر أحد عشر مقوّماً للمجتمع المسلم المنشود، وقد نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة.

كلمة يجب أن نحفظها ونرويها، لأنها تقطع نياط القلوب. ماذا قال؟ قال: ما أعظمه من دين لو كان له رجال!! دين عظيم ولكنه في حاجة إلى رجال عظماء، دين قوي ولكنه في حاجة إلى رجال أقوياء.

فواعجباً: إنّ عدد المسلمين في العالم يقارب المليار، وربّما يجاوز المليار، نحو ألف مليون مسلم في العالم، كما تدلّ على ذلك الإحصائيات، ولكن هؤلاء المنسوبين إليه، المحسوبين عليه، لا يمثلون الإسلام حقيقة التمثيل. إنّهم كما جاء في الحديث: «غثاء كغثاء السيل»[1].

نريد قلة مؤمنة لا كثرة عاطلة. نريد الكيف قبل الكم، لا نريد الكثرة الغثائية التي قال فيها الشاعر قديماً:

إنّي لأفتح عيني حين أفتحها ... على كثير ولكن لا أرى أحداً!

لا نريد أناساً من هذا الصنف، نريد مسلمين.. مسلمين حقيقيين، الواحد منهم بألف، وقد قال الشاعر:

والناس ألف منهم كواحد ... وواحد كالألف إن أمر عنا

وقال تعالى: ﴿... كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

أيها المسلمون:

إنّ هذا التجمع يعرّفنا حقيقة أنفسنا، لا نريد أن ننصرف لنلهو ونلعب، ولكن نريد أن ننصرف لنتعاهد على نصرة الإسلام، لنربي أنفسنا على الإسلام، لنربّي أبناءنا وبناتنا على الإسلام، لنربي أهلينا وزوجاتنا على الإسلام.

الإسلام أساس عزّنا في الدنيا، وأساس سعادتنا في الآخرة. إذا أردنا العزة في الدنيا، فلا عزّة والله إلا بالإسلام.

---

(١) من حديث ثوبان: وقد مرّ تخريجه في ص (٢٥٤).

عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان في طريقه إلى الشام، وكان معه أبو عبيدة ـ رضي الله عنه ـ فقابلتهم مخاضة ـ فنزل عمر ليخوض هذه المخاضة، وخلع نعليه، وأمسك بهما كأيّ رجل عادي من الناس، فانزعج أبو عبيدة وقال: يا أمير المؤمنين لو فعلت غير هذا الناس يرونك، وأنت أمير المؤمنين وخليفة المسلمين. فماذا قال عمر؟ قال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، إنّا كنّا أذلّ قوم، فأعزنا بالله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغيره أذلنا الله.

أيها الإخوة:

لا عزة بغير الإسلام ﴿... وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

إذا أردنا النصر على عدونا فلا نصر إلا بالإسلام. النصر لا يأتي بغير الإيمان، ولا إيمان بغير الرجوع إلى الإسلام.

الإيمان هو الذي يصنع البطولات، هو الذي يصنع الروائع، الأسلحة وحدها لا تغني، السلاح لا يقاتل وحده، إنما يقاتل بالرجل الذي يستخدمه، وقديماً قال المتنبي:

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا إذا لم يكن فوق الكرام كرام؟

خيل بغير خيّال ماذا تصنع؟ وقال الطغرائي:

وعادة السيف أن يزهى بجوهره وليس يعمل إلا في يدي بطل!

وفي سنة (١٩٦٧م) كانت عندنا دبابات تزن الواحدة منها (ستين) طناً من أحدث طراز، ولكن تركوها وهرولوا.. طلبوا الفرار، ولم يكلف أحدهم خاطره أن يخرّبها قبل أن يتركها، وتسلمّها الأعداء لقمة سائغة، وغنيمة باردة، لماذا؟ لأنّ كل واحد كان يقول: الفرار الفرار.. النجاة النجاة... نفسي نفسي.

بالإيمان نستطيع أن نصنع الرجال الذين يكسبون حقوقهم بأيديهم بمثل هذا الإيمان هبتْ نفحة من نفحات رمضان، فحققنا ما تحقق في رمضان.

بالإسلام. وإذا أردنا الوحدة، فلا وحدة إلا بالإسلام.

يريدون الوحدة العربية. كيف يتحد العرب إذا لم يكن منهجهم الإسلام؟! إذا تركوا الإسلام تفرقوا إلى يمين ويسار، واليمين درجات واليسار درجات. هناك يمين اليمين، ووسط اليمين، ويسار اليمين، وهناك يسار اليسار، ووسط اليسار، ويمين اليسار. هناك من يتجه إلى موسكو، وهناك من يتجه إلى بكين، وهناك من يتجه إلى لندن، وهناك من يتجه إلى واشنطن، قبلات متعددة، ووجهات متفرعة، سيفترق الجميع إذا لم يلتقوا على الإسلام.

الإسلام دين الأمة، وهو الذي يوحد الجميع، يوحدّ قبلتهم، ويوحد مشاعرهم، ويوحدّ أهدافهم، ويحدّ منهاجهم. إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ...﴾ [الأنعام:١٥٣]. قال ابن مسعود رضي الله عنه[1]: خطّ لنا رسول الله ﷺ خطاً ـ أي على الرمل ـ يرسم لهم بوسائل الإيضاح المتاحة ـ ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خطّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال: هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ...﴾ [الأنعام:١٥٣].

أيها الإخوة المسلمون:

في هذا اليوم.. في هذا المهرجان الإسلامي.. في هذا اليوم الرباني. في هذه الساحة التي التقت فيها الألوف وعشرات الألوف وربّما مئات الألوف.. في هذه الساحة يجب أن نعرف أنفسنا، يجب أن نكتشف أنفسنا، نحن المسلمون قبل كل شيء، مهما عرضت العوارض، أو طرأت الطوارىء، يجب أن نعرف أننا مسلمون، ولا حياة لنا بغير الإسلام. وعلى هذا يجب أن نطبق الإسلام على أنفسنا، ثم ندعو إليه العالم، والعالم كله في حاجة إلى الإسلام. البشرية المعذبة في الأرض لم تنفعها الرأسمالية ولا الشيوعية، ولن يجدوا ديناً ينقذهم من

(١) إسناده حسن، وأخرجه الإمام أحمد، والطبري، والحاكم وصححه، وأقرّه الذهبي (شرح السنة للبغوي بتحقيق الشاويش والأرناؤوط: ١/١٩٦ ـ ١٩٧، الحديث ٩٧).

الجاهلية الحديثة.. لن يجدوه إلا في الإسلام.

ذهبت إلى أوروبا وأمريكا، فوجدت الناس يدخلون في الإسلام كل يوم، ويمكن أن ينتشر الإسلام أكثر وأكثر لولا سوء حال المسلمين.

إنهم ينظرون إلى الإسلام من خلال المسلمين، ويقولون: إذا كان الإسلام يَدعو إلى العلم، فما بال المسلمين جهلاء؟ إذا كان يدعو إلى التقدم، فما بال المسلمين متخلّفين؟ إذا كان يدعو إلى النظام، فما هذه الفوضى في حياة المسلمين؟ إذا كان يدعو إلى النظافة، فما بال بلاد المسلمين أقذر بلاد العالم، إذا كان يدعو إلى الوحدة، فما لكم متفرقين.

وأذكر حادثة أقولها لكم. رجل غربي دخل في الإسلام، اعتنق الإسلام عن طريق الكتب، قرأ عن الإسلام فأعجب به، وآمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، ولكنه بعد عدّة سنين أراد أن يقوي دينه بالحج إلى بيت الله الحرام. هناك ذهب إلى موسم الحج، فرأى سوء حال المسلمين، وسوء نظامهم، ورأى الفوضى، وعدم الأدب في المعاملة، وغير ذلك، ممّا قرأ ضده في كتب الإسلام، فماذا قال؟ قال هذه الكلمة: الحمد لله الذي عرّفني الإسلام قبل أن أعرف المسلمين!!

نحن صورة سيئة للإسلام. لماذا يا مسلمون؟ لماذا لا نعود إلى ديننا؟ لماذا لا نكون مسلمين حقاً؟ نعمل بالإسلام، ونعمل للإسلام. لماذا لا نقف حياتنا وجهودنا على نصرة هذا الدين؟

أي دين في الدنيا وجد من يدعون إليه، ويعملون له. حتى الشيوعية الباطلة وجدت لها أنصاراً ورجالاً، الماسونية وجدت رجالاً، اليهودية أقامت لها دولة في قلب بلاد المسلمين، النصرانية لها مبشّرون ومبشرّات بعشرات الألوف في أنحاء العالم. كلّ مذهب له أهله وأنصاره ورجاله. فأين أنصار الإسلام؟ أين رجال الإسلام؟

كونوا أنتم رجال الإسلام، كونوا أنصار الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ

كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ . . .﴾ [الصف: ١٤] .

يا أيها الإخوة:

كلمة أريد أن أختم بها. إن دعوتنا إلى الإسلام لا تحمل أي عدوان على أحد، ولا تحمل أي تعصب ضد أحد. حينما ندعو إلى الإسلام، إنما ندعو إلى المُثل العليا، إنما ندعو إلى القيم الرفيعة التي جاء بها الأنبياء، ونادت بها كل الرسالات. القيم والمثل التي نادى بها موسى وعيسى، ونادى بها بعد ذلك خاتمهم محمد ﷺ.

فلنحرص جميعاً على الإسلام، ولنعش بالإسلام، ولنمت على الإسلام، وليكن شعارنا: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام ١٦٢ ـ ١٦٣] .

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل يومنا خيراً من أمسنا، ويجعل غدنا خيراً من يومنا، ويحسن عاقبتنا في الأمور كلها، ويجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. اللهم اجعل هذا العيد بشير خير وبركة على المسلمين، ونذير وبال وحسرة على الظلم والظالمين. اللهم أعد أمثاله على أمتنا الكبرى من المحيط إلى المحيط، بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى. ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] .

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ ـ ٣] .

وصيتي إلى الإخوة أن ينصرفوا في هدوء مشكورين مأجورين، ومن جاء

من طريق فليرجع من طريق آخر. تهنئة المسلمين بعضهم لبعض: تقبل الله منّا ومنكم. زوروا بعضكم بعضاً، وتواصلوا فيما بينكم، فإن الصلة من أهداف الإسلام، ومن مبادىء الإسلام.

وصلّى الله على محمّد وآله وصحبه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *